بسم الله الرحمن الرحيم

٢ - سورة البقرة

عرض وتفسير

- ٦ -

للأستاذ عنتر أحمد حشاد

الموجه العام بوزارة التعليم

جـ - عرض عام للسورة :

القسم الرابع : ذكر حاضر المسلمين وقت البعثة (الآيات من ١٣٥ الى ١٦٢) :

فى هذه الآيات (١) ، وما قبلها (٢) يتصل ذكر الخلف بذكر السلف، ويخرج الكلام من التلويح الى التصريح ، فتقرر هذه الآيات (٣) - فى جلاء صلة هذه الامة المسلمة بتلك الامة الصالحة (أمة ابراهيم عليه السلام) فى أصول ملتها ، وفى أهم فروعها ، وتقص علينا ما يحاوله سفهاء الاحلام (٤) من بنى اسرائيل وغيرهم - وقت البعثة - لحرمان المسلمين من تلك الصلة ، وذلك بدعوتهم المسلمين الى اتباع ملتهم تارة ، وبالطعن فى قبلتهم تارة أخرى ، وتكر على تلك المحاولتين بالهدم والاستئصال .

وقد رأيت الحديث الآنف (٥) كيف امتزج فيه ذكر ملة ابراهيم بذكر قبلته ، فانظر كيف كان ذلك تأسيسا قويا لما يبنى عليه هنا من ذكر ملة المسلمين وذكر قبلتهم .

قال فى شأن الملة : ان أهل الكتاب يدعونكم - بعد هذا البيان - أن تكونوا هودا أو نصارى ، فقولوا لهم : بل نتبع ملة ابراهيم حنيفا(٦)

---

(١) من ١٣٥ - الى ١٦٢ .

(٢) الآيات من ١٢٢ - الى ١٣٤ فى ذكر قدامى المسلمين من لدن ابراهيم عليه السلام ، كما بيناه فى العدد السابق .

(٣) الآيات من ١٣٥ - الى ١٦٢ (٤) خفاف العقول .

(٥) فى الآيات السابقة ، التى عرضناها فى العدد الماضى .

(٦) حنيفا : مائلا عن الباطل الى الحق ، والحنف : الميل .

وعرفوهم جلية الامر فى هذه الملة الحنيفية ، وأنها ايمان بالله وبما أنزل الى محمد صلى الله عليه وسلم ، وبما أنزل من قبله الى رسل الله أجمعين ، لا نفرق بين أحد منهم فى أنه رسول الله يوحى اليه ، ولا بين كتاب الهى وكتاب الهى فى أنه نور وهدى من الله ، فالذين يؤمنون ببعض رسل الله ، ويكفرون ببعض ، ويؤمنون ببعض كتب الله ، ويكفرون ببعض (١) ليسوا بمؤمنين ، لان الله سبحانه ما أرسل رسولا الا مصدقا لمن سبقه من الرسل ، وما أنزل كتابا الا مؤيدا لما سبقه من الكتب فى أسس الاديان الالهية ، وهى العقائد ، وأصول العبادات ، وأمهات الفضائل والرذائل • ودعوة رسل الله فى هذه الاسس واحدة يقول سبحانه : « وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا (٢) قل بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين ، قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم (٣) ونحن له مسلمون (٤) » •

---

(١) كاليهود والنصارى الذين يفرقون بين الله ورسله ويقولون . نؤمن ببعض ونكفر ببعض ، نؤمن بموسى ، ونكفر بعيسى ومحمد ، ونؤمن بالتوراة ، ونكفر بالانجيل والقرآن ...

(٢) والمعنى : وقالت اليهود للمسلمين : كونوا يهودا تهتدوا الى الدين الحق ، وقالت النصارى : كونوا نصارى تهتدوا الى الدين الحق ، هو ترديد لا دعائهم السابق فى آية ١١١ من السورة : « وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى » ومصداق لقول الله سبحانه : « ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم » من الآية ١٢٠ .

(٣) ولهذا قال سبحانه فى الآية ٤ فى وصف المتقين المهتدين : « والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك » وقال فى آخر السورة فى الآية ٢٨٥ فى وصف المؤمنين : « كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله » وفى آية ٨٤ من سورة آل عمران : « قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » .

(٤) فى ختام هذه الآية بقوله سبحانه : « ونحن له مسلمون » ما يرشد الى أن الايمان والتصديق بالله ورسله وكتبه لا يكون هدى ، ولا ينجى المؤمن الا اذا اقترن به اذعان المؤمن وقبوله واستسلامه وانقياده لمقتضى ما آمن به ، فالذى يصدق برسالة محمد ، أو برسالة أى رسول من غير أن يسلم ويستسلم لاحكامه ويعمل بما جاء به لاثمرة لايمانه ، ولهذا بدأ الله الآية بقوله : « قولوا آمنا » وختمها بقوله : « ونحن له مسلمون » والايمان التصديق ، والاسلام : الاذعان والعمل . .

هذه عقيدتنا بيضـــاء ناصعة ، فأى ركنيها تنقمون منا ، وفى أيهما تخاصموننا : أفى الله وهو ربنا وربكم ، أم فى ابراهيم وبنيه ؟ وهل كانوا هودا أو نصارى ؟ « قل أأنتم أعلم أم الله ، ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون ، تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعلمون (١) » .

وكان هذا الترديد ــ وحده ــ كافيا لافحامهم ، واغلاق الباب فى وجوههم من هذه الناحية ، اذ تبين أن أصول هذه الملة أمنع من أن تقبل الجدال فى شىء منها ــ فانتقل عنها وشيكا الى ابطال محاولتهم الاخرى فى مسألة (الكعبة المعظمة) التى عليها يدور العمل بشعيرتين هما أعظم شعائر الاسلام ، وأظهرها (الصلاة والحج) والتى قد تقرر ما لها من الاصل الاصيل فى الدين باتخاذ ابراهيم واسماعيل اياها مثابة ومصلى . ولكن هذا لم يكن كافيا لاسكات المجادلين الذين اتخذوا من تحول المسلمين اليها ، وتركهم القبلة التى كانوا عليها ــ مطعنا على النبوة فتنوا به ضعفاء المؤمنين ، فمست الحاجة الى مزيد بســط فى شأنها تتقرر به الحجة ، وتدحض به الشبهة . ولذلك تراه يوجه اليها أكبر الشطرين من عنايته .

من الثابت أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ والمسلمين بعد أن هاجروا الى المدينة مكثوا نحو سبعة عشر شهرا يستقبلون فى صلاتهم بيت المقدس ، وكان هذا بتوجيه الله تعالى لهم ، ثم أمر الله رسوله أن يولى هو والمسلمون وجوههم فى الصلاة الى الكعبة ، وقد استغل ضعاف العقول من اليهود والمنافقين هذا التحويل ، وشنعوا على المسلمين ، واستنكروا هذا التقلب والتحول ، وقالوا على سبيل الانكار والتشنيع : « ما ولاهم (٢) عن قبلتهم التى كانوا عليها » ، وقد رد الله تعالى عليهم الرد الحكيم ، فأمر نبيه بادىء ذى بدء أن يجيب المتسائلين عن حكمة هذا التحويل جواب عزة واباء يردد الامر فيه الى من لايسأل عما يفعل ، قائلا لهم : ان الجهات كلها سواء ، يوجهنا الله منها الى

---

(١) من الآية ١٤٠ والآية ١٤١ .

(٢) ما الذى صرفهم وحولهم فى قبلتهم عن بيت المقدس الى الكعبة ؟

ما يشاء ، وهو الذى يهـدى الى الصراط المسـتقيم « قل لله المشرق والمغرب ، يهدى من يشاء الى صراط مستقيم (١) » فالمشرق والمغرب وجميع الجهات والامكنة هى لله ، وهى بالنسبة اليه متساوية ، فله أن يأمر عباده بالتوجه فى عبادته الى أى جهة ، فان شـاء وجههم الى بيت المقدس ، لحكمة قصد اليها ، وان شاء وجههم الى الكعبة لحكمة قصد اليها ، وليس المقصود بالعبادة هو بيت المقـدس أو الـكعبة ، وانما المقصود وجه الله ، وأينما يولى المصلى وجهـه فثم وجه الله « ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله ان الله واسع عليم (٢) » .

ثم أخذ يأمر النبى تارة ، والمؤمنين تارة ، ويأمرهما معـا تارة أخرى فى أسلوب مؤكد مفصل أن يثبتوا على هذه القبـلة حيث هم ، وفى كل مكان يقيمون فيه حضرا ، وفى كل مكان يخرجون منه سفرا(٣).

وطفق ينثر فى تضاعيف هذه الاوامر المؤكدة ما شاء من تعريف بأسرار التشريع القديم والجديد ، فيقول ان تشريع تلك القبلة الوقتية ما كان الا اختبارا ليتبين من يتبع الرسـول ممن ينقلب على عقبيه . وأما تشريع هذه القبلة الباقية فانه ينطوى على الحكم البالغة ، والمقاصد الجلية ، فهى القبلة الوسطى التى تليق بكم أيتها الامة الوسطى ، وهى القبلة التى ترضاها يأيها النبى ، والتى طالمـا قلبت وجهك فى السماء مستشرفا الى الوحى بها ، وهى القبلة التى يعلم أهل الكتاب أنها الحق من ربهم وان كانوا يكتمون ذلك حسدا وعنادا ، وهى القبلة التى يشهد الله بأنها الحق من عنده ، وأخـيرا هى القبلة التى لا تبقى لاحد من المنصفين حجة عليكم ، أما الظالمون فلن ينقطع جدالهم فى شأنها ما بقيت عداوتهم لكم ، ولكن لا تخشوهم ، بل وطنوا أنفسكم على التضحية فى سبيل الله ، واصبروا ، ولا تحزنوا على من سيقتـل منكم فى هذه السبيل فان الموت فيها هو الحياة الباقية .

---

(١) من الآية ١٤٢ . (٢) الآية ١١٥ من سورة البقرة .
(٣) فى الآيات ١٤٤ و ١٤٩ و ١٥٠ .

ثم أومأ (١) الى أن الجدال فى هذه القبلة ليس صدا عن الشعائر التى فى داخل المسجد الحرام فحسب ، بل هو كذلك صد عما حوله من الشعائر ، صد عن السعى بين الصفا والمروة « ان الصفا والمروة من شعائر الله (٢) » .

ثم أكد أمر هاتين الشعيرتين على نحو ما أكد أمر القبلة بالتعريض بأهل الكتاب الذين يعلمون أصلهما فى تاريخ ابراهيم عليه السلام ، ولكنهم يكتمون ما أنزل الله من البينات وهم يعلمون .

عنتر حشاد

حفظ الله

عن أبى العباس : عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : « كنت خلف النبى صلى الله عليه وسلم يوما ، فقال لى : يا غلام انى أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، اذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الامة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء — لم ينفعوك الا بشىء قد كتبه الله تعالى لك ، وان اجتمعوا على أن يضروك بشىء — لم يضروك الا بشىء قد كتبه الله تعالى عليك ، رفعت الاقلام ، وجفت الصحف » .

رواه الترمذى ، وقال حديث حسن صحيح .

وفى رواية غير الترمذى : « احفظ الله تجده أمامك ، تعرف الى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة ، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وما أصابك لم يكن ليخطئك ، واعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسرا » .

---

(١) أومأ : أشار . (٢) من الآية ١٥٨ ، والصفا والمروة : هضبتان ملحقتان حاليا بالمسجد الحرام يسعى بينهما الحاج والمعتمر ، ومن شعائر الله : من علامات دين الله .

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو سبب صلاح المجتمع وسفينة النجاة

لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، أما بعد : —

فان من أهم الواجبات الاسلامية التى يترتب عليها صلاح المجتمع وسلامته ونجاته فى الدنيا والآخرة الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وذلك هو سفينة النجاة كما ثبت فى صحيح البخارى عن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين فى أسفلها اذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا • قال النبى صلى الله عليه وسلم : فان يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا وان أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا) فتأمل أيها المسلم هذا المثل العظيم من سيد ولد آدم ورسول رب العالمين ، وأعلم الخلق بأحوال المجتمع وأسباب صلاحه وفساده — تجده واضح الدلالة على عظم شأن الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وأنه سبيل النجاة وطريق صلاح المجتمع ، ويتضح من ذلك أيضا أنه واجب على المسلمين وفرض عليهم القيام به ، لانه هو الوسيلة الى سلامتهم من أسباب الهلاك • وقد أكثر الله سبحانه فى كتابه الكريم من ذكر الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وذكر أن أمة محمد صلى الله عليه وسلم هى خير الامم بسبب صفاتها الحميدة التى من أهمها قيامها بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر • كما قال عز وجل (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) وتأمل أيها المسلم الذى يهمه دينه وصلاح مجتمعه كيف بدأ الله سبحانه فى هذه الآية بذكر الامر بالمعروف والنهى عن المنكر قبل الايمان مع كون الايمان شرطا لصحة جميع العبادات يتبين لك عظم شأن هذا الواجب وأنه سبحانه انما قدم ذكره لما يترتب عليه

من الصلاح العام • وقال عز وجل (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعـــروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم) فانظر يا أخى كيف بدأ فى هـــذه الآية بذكر الامر بالمعروف والنهى عن المنكر قبل الصلاة والزكاة وما ذلك الا لمـــا تقدم بيانه من عظم شـــأنه وعموم منفعته وتأثيره فى المجتمع ، وتدل الآية أيضا على أن الامر بالمعروف والنهى عن المنكر من أخص أخلاق المؤمنين والمؤمنات وصفاتهم الواجبة التى لا يجوز لهم التخلى عنها أو التساهل بها ، والآيات فى هذا المعنى كثيرة وقد ذم الله سبحانه من ترك هذا الواجب من كفار بنى اسرائيل ولعنهم على ذلك فقال سبحانه فى كتابه المبين من سورة المـــائدة : (لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون) وفى هذه الآية ارشاد من الله سبحانه لامة محمد صلى الله عليه وسلم الى أن سبب لعن كفار بنى اسرائيل وذمهم هو عصيانهم واعتداؤهم وأن من ذلك عدم تناهيهم عن المنكر فيما بينهم لتحذر هذه الامة سبيلهم الوخيم ويبتعدوا عن هذا الخلق الذميم • ويتضح من ذلك أن هذه الامة متى تخلقت بأخلاق كفار بنى اسرائيـــل المذمومة استحقت ما استحقه أولئك من الذم واللعن لانه لا صلة بين العباد وربهم الا صلة العبادة والطاعة ، فمن استقام على عبادة الله وحده وامتثال أوامره وترك نواهيه استحق من الله الكرامة فضلا منه واحسانا وفاز بالثناء الحسن والعاقبة الحميدة ومن حاد عن سبيل الحق استحق الذم واللعن وباء بالخيبـــة والخسران وقد صح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان) • رواه مسلم رحمه الله فى صحيحه • وروى مسلم أيضا عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما من نبى بعثه الله فى أمة قبلى الا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم انها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدهم بيـــده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن،

وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل) .

فاتق الله أيها المسلم فى نفسك وجاهدها لله واستقم على أمره وجاهد من تحت يديك من الاهل والذرية وغيرهم وأمر بالمعروف وانه عن المنكر حسب طاقتك فى كل مكان وزمان عملا بهذه الادلة الشرعية التى ذكرتها لك آنفا وتخلق بأخلاق المؤمنين واحذر من أخلاق الكافرين والمجرمين واحرص جهدك على نجاتك ونجاة أهلك واخوانك المسلمين كما قال عز وجل (وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها) وقال سبحانه (يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال (يأيها الناس ان الله يقول لكم مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعونى فلا أجيبكم وتسألونى فلا أعطيكم وتستنصرونى فلا أنصركم) أخرجه ابن ماجه وابن حبان فى صحيحه وهذا لفظ ابن حبان : — والمعروف يا أخى هو كل ما أمر الله به ورسوله والمنكر هو كل ما نهى الله عنه ورسوله فيدخل فى المعروف جميع الطاعات القولية والفعلية ويدخل فى المنكر جميع المعاصى القولية والفعلية ثم اعلم يا أخى أن كل مسلم راع على من تحت يده ومسئول عن رعيته ، كما ثبت فى صحيح البخارى رحمه الله عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فالامام راع ومسئول عن رعيته والرجل راع فى أهل بيته ومسئول عن رعيته والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها والعبد راع فى مال سيده ومسئول عن رعيته) ثم قال صلى الله عليه وسلم : (ألا فكلكم راع ومسئول عن رعيته) — فاتق الله يا عبد الله وأعد جوابا لهذا السؤال قبل أن ينزل بك من أمر الله ما لا قبل لك به . والله المسئول أن يهدينا جميعا صراطه المستقيم وأن يوفقنا وسائر المسلمين للقيام بأمره والثبات على دينه والتآمر بالمعروف والتناهى عن المنكر والتواصى بالحق والصبر عليه بصدق واخلاص انه ولى ذلك والقادر عليه ، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه ومن اهتدى بهداه .

عبد العزيز بن عبد الله بن باز

الرئيس العام لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد

دعوة حـــق

بقلم : الشيخ محمد على عبد الرحيم

قال الله تعالى (قل هذه سبيلى أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى ، وسبحان الله وما أنا من المشركين) •

يخاطب الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بقوله : قل يا محمد ان هذه الطريقة التى أسير عليها ، والدعوة التى أدعو اليها من توحيد الله تعالى ، والانصراف عن عبادة غيره ، ونبـــذ الشرك فى كافة صوره ، والانتهاء الى عبادة الله وحده : ان هى الا سبيل الحق الذى أنادى به ، وأدعو الى توحيد الله عن علم ويقـــين منى ، أنا ومن سلك مسلكى وسار على شريعتى ، فصدقنى وآمن بكل ما جئت به عن ربى •

وسبحان الله : أى عظم الله ونزهه عن أن يكون له شريك فى ملكه أو سلطانه •

وما أنا من المشركين : أى لست من هؤلاء الذين يصرفون عبادتهم الى غير الله فيجعلون مع الله الها آخر •

وأصل الشرك بالله أن يوجه حق الله فى العبادة ، الى غيره تعالى ، أو يعتقـــد أن مخلوقا من خلق الله له سلطان فوق قدرة المخلوقين • كاعتقاد من غفلوا عن كنه التوحيد الخالص : فى المقبورين وغيرهم ، بأن لهم من القوة أو الجاه وتصريف الامور أو جلب المنافع ودفع المضـــار وغيرها مما لا يقوى عليها الا رب العالمين •

ومعلوم أن العبادة تشمل التذلل والخضوع والخشوع ، والانابة والخوف والرجاء ، والاستعانة والاستغاثة والدعاء والنذر والحلف • وكلها حق لله وحده • فاذا صرف العبد شيئا من ذلك الى غير الله من نبى

أو تقى : فقد أشرك بالله • ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا مبينا ، ومن يشرك به فقد افترى اثما عظيما •

كما أن من الشرك الذى وقع فيه كثير من الناس : أن يتخذوا أندادا لله تعالى يحبونهم كحبهم لله (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله • والذين آمنوا أشد حبا لله) •

وفى الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه سأل النبى صلى الله عليه وسلم أى الذنب أعظم ؟ قال أن تجعل لله ندا وهو خلقك • قلت ثم أى ؟ قال أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك • قلت ثم أى ؟ قال أن تزانى حليلة جارك •

وحب الانداد يدعو محبيهم الى الاعتقـــاد بأن لهم من التـــدبير والتصرف فى أمور لا يقدر عليها الا العلى الكبير •

ولذا نرى أولئك الذين اتخذوا أندادا لله من المقبورين ، يتقربون اليهم بعبادات هى من حق الله وحده • كأن يذبحوا النذور اليهم ، أو يطوفوا حول قبورهم بغية التبرك بهم ، أو يلتمسوا منهم جلب الخير وكشف الضر •

(قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا) ومما زاد الطين بلة أنهم يقفون أمام قبورهم وقفة الخاضع الخاشع الذليل الضارع ، كما لو وقفوا فى الصلاة لرب العالمين • ترى : أين أئمة المساجد ذات القبور ؟ أين سدنة هذه القبور من المقرئين والخدم والمؤذنين ؟ كل أولئك يشهدون اقبال الناس بحرارة وخشوع على صاحب القبر • فيقرونهم على ما يصنعون ويسكتون على ما يفعلون • بغيـــة الانتفاع بما يوضع فى صندوق النذور • ووعيد الله فى ذلك شديد قال تعالى (ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون) •

فياقوم : اذا كان الميت لا يملك لنفسه نفعـــا ولا ضرا ، فكيف يستغاث به أو يسأل لقضاء حاجة من حاجات الاحياء ؟ مع أنه بحاجة

الى من يدعو له بالمغفرة والرحمة • كما ورد عن نبى الهدى صلى الله عليه وسلم أن نسلم على قبور المسلمين **اذا زرناهم** وأن نسأل لهم من الله تعالى العفو والعافية •

ولكن البلية العظمى ، والمصيبة الكبرى جاءت من المغالاة فى حب الصالحين طمعا فى شفاعتهم (ويعبدون من الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله • قل أتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الارض ، سبحانه وتعالى عما يشركون) •

(والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون) •

ولذا نجد المشركين يغضبون اذا ذكر الله وحده • وتطمئن قلوبهم اذا ذكر الذين من دونه قال تعالى (واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة ، واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون)• وقال (ذلكم بأنه اذا دعى الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلى الكبير) •

فوا أسفاه على من ينتسبون الى الاسلام فيما وقعوا فيه حتى أخرجهم الشيطان من الحنيفية السمحاء •

١ ــ أليسوا يزعمون أن قبور الصالحين تشفع لهم وتقربهم الى الله زلفى •

٢ ــ ألم يشدوا الرحال الى هذه القبور ، ويقربون لها القرابين ؟ مع أن شد الرحال لا يكون الا للمساجد الثلاثة : المسجد الحرام ، والمسجد النبوى الشريف ، والمسجد الاقصى كما جاء عن المعصوم عليه الصلاة والسلام •

٣ ــ أليسوا يستنجدون بهم فى جلب المنافع ودفع الملمات ؟

٤ ــ ألم يسألوهم شفاء المرضى ونجاح الاولاد وجلب البركات فى الزراعات والتجارات ؟ •

٥ ــ ألم يعتقدوا فيهم كشف الاسرار ، ومعرفة خفايا الضمائر مع أن الله وحده عليم بذات الصدور ؟

فياقوم لقد صارت القبور التى بالمساجد نكبة أبعدت الناس عن التوحيد ولا علاج لهذه الحالة سوى ازالتها من مساجد المسلمين (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا) لان وجودها بالمساجد يصد الناس عن الاخلاص فى العبادة لله وحده • كما تسىء الى النفوس وتجعلها تذل لغير الله ، وتفقدها التسامى ، وتجردها من العزة بتوحيد الله تعالى •

بهذا ساءت حالة الامة الاسلامية ، وفقدت سيادتها ، وانهار عزها ولا يمكن أن ينصلح حال هذه الامة الا بمـــا صلح أولها • فلا بد من الرجوع الى التوحيد الصحيح ، والعزة الحقة ، وذلك بالانصراف عن هذه البدعة التى هى أم الخرافات ، وأس الضلالات •

وليكن معلوما أن الدعوة الى الله تعالى تستوجب من الداعى أن يكون غير منفر ، لينا حكيما ، لان المؤمن هين لين ، كما ينبغى أن يكون متحليا بمكارم الاخلاق ، عاملا بما يدعو اليه •

ولنا خير أسوة فى التوجيه الالهى لموسى وهرون ، حينما أرسلهما الله الى فرعون • اذ قال لهما (اذهبا الى فرعون انه طغى ، فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى) مع أن الله تعالى الذى لا تخفى عليه خافية يعلم أن فرعون لن يهتدى • ولن يتخذ الايمان الى قلبه سبيلا • فطغى واستكبر وتمرد على خالقه • وبلغ به الغرور مبلغه فقـــال (أنا ربكم الاعلى) وقال (ما علمت لكم من اله غيرى) • فأخفى الله على نبيه موسى سوء عاقبة فرعون ليقيم الحجة على عدو الله ، وليكون أسلوب موسى فى الدعوة الى الله أسوب المقنع الناصح الامين •

ولهذا كانت توجيهات العزيز الحكيم لخاتم المرسلين صلوات الله وسلامه عليه التزام هذا الاسلوب فقـــال تعالى (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن) وقال (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) ونسأله تعالى أن يمنحنا البصيرة فيما ندعو اليه ، وأن يجنبنـــا مزالق الشرك وترهات المخرفين • والله المستعان •

محمد على عبد الرحيم

ماهى علوم الدين

التى يقصدها الغزالى فى (احياء علوم الدين)

للدكتور ابراهيم هلال

لقد أطلق أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالى على كتابه (احياء علوم الدين) هذا الاسم ، خداعا للمؤمنين ، وتغطية على ما يحتويه من أساليب الوثنية ، والعقائد الجاهلية ، أو جهلا بعلوم الدين التى هى علوم الدين • وان تعجب فاعجب من هؤلاء الذين أطلقوا عليه قديما لقب حجة الاسلام جهلا ، وزورا وبهتانا ، اذ أنه دينا ليس هناك من هو حجة للاسلام الا الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فضلا عن قيمة هذا الرجل الدينية ، التى توزعت بين التأسيس للتصوف وخلطه بالفلسفة ، أو اقامته عليها ، وبين الانسياق فى تيار الآراء الالحادية فى زمنه التى شككت فى البعث والحساب وهل هما بالجسم وبالروح ، أو بالروح فقط ، واعتناقه ذلك الرأى الاخير مدة من الزمن استغرقت معظم حياته — وقد يكون رجع عن ذلك فى السنة الاخيرة التى مات فيها كما يحكى عنه الامام ابن تيمية • ولكن ما يهمنا أن انتاجه الذى خلفه لنا ، لا يخول لاحد ، أن يجعله قدوة للمسلمين أو يجعله من علماء الدين ، ولا يجعل احياءه ، احياء لعلوم الدين ، فانه يعتبر المؤسس الاكبر للتصوف الفلسفى الذى يتجه اتجاه الاشراقيين من فلاسفة اليونان ومتصوفيهم ، والذين يقوم تصوفهم ، وفلسفتهم على وحدة الوجود أو الاتحاد كأفلوطين ذلك الشيخ اليونانى السكندرى الذى عاش فى القرن الثالث الميلادى وكذلك أفلاطون اليونانى •

وفى الواقع فان التصوف الفلسفى ، قد سار شوطا بعيدا على يد الغزالى فى رسم طريق المعرفة الاشراقية الوثنية والاتصال بالذات العلية ومشاهدتها ، وما تفرع عن ذلك من مذاهب ونظريات مختلفة فى تكييف الكون والوجود وصلتهما بالله وصلة الله بهما ، تكييفا وثنيا شركيا ، ووصف الله سبحانه ، بما لا يليق به كما قال تعالى :

« وما قدروا الله حق قدره ، والارض جميعا قبضته يوم القيـــامة ، والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون » •

هذه الآراء والافكار الجاهلية الوثنية ، لا مجال لسردها وتفصيلها الآن ، لاننا بصدد بيان أن احياء الغزالى ليس احياء ، وانما هو اماتة • وذلك لمنهج الغزالى فيه ، ثم شخصية الغزالى نفسها فيـــه وفى غيره والتى فرضت عليه أن يجعل الاحياء بهذه الصـــورة • وربما كان هو المسئول الاول عما حدث بعد ذلك فى الفكر الاســـلامى ، من تطـــور الذوق والاشراق ، الى ذلك المظهر العرفانى الغيبى الباطنى الصارخ ، والذى ظهر على يد السهروردى الحلبى المقتول على يد الامام صلاح الدين الايوبى السنى حاكم مصر فى الايام الاخيرة للصليبيين ، ومطهر البلاد الاسلامية منهم ، ومن الفاطميين •

وكذلك فان الغزالى أستاذ لابن عربى ، وهو الممهـــد له للقول بوحدة الوجود ، فقد ظهرت بذورها عند الغزالى وكذلك ابن سبعين الذى أتى بعدهما •

ومفتاح فلسفته فى التصوف ، هو تلك التسمية الباطلة التى سمى بها كتابه الضخم فى الحجم ، الضئيل الحقير فيما يحتويه من تصوف ذلكم الكتاب المشهور باسم (احياء علوم الدين) •

وبتدبرنا لمقدمة الكتاب ، وأول باب العلم الذى هو أول أبواب الكتاب ، نجد أنه لا يقصد بعلوم الدين الـــكتاب والسنة ، ولا علوم الفقه والتشريع ، وانما يقصد بعلوم الدين (علم الباطن ، وعلم المكاشفة والمشاهدة) كما يرى أنه هو العلم المقصود فى قوله صلى الله عليه وسلم « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » وهذا توجيـــه باطنى صوفى ، يبرأ منه الحديث ، ويبرأ منه رســـول الله صلى الله عليه وسلم •

ويبلغ به الامر الى أن يضع هذا العلم الاخير (علم الباطن) فى القمة وأن تعلمه فرض عين • ويضع علم الفقه بجانب علم الطب ومن فصيلته ، وأن تعلمه فرض كفاية ، كتعلم الطب تماما بتمام • بل ويصرح بأنه ما أتى بالعبادات فى هذا الكتاب الا ليوهم أرباب الشريعة ومحبى دراستها أنه يدرس معهم علم الظاهر ، أو علم الفقه ، وفى نفس الوقت يقدمه لهم فيه مبطنا ومحشوا بعلم الباطن وعلم المعرفة الذوقية ، وهم لا يدرون ، ومن قوله فى ذلك : « فلم أبعد أن يكون تصوير الكتاب بصورة الفقه تلطفا فى استدراج القلوب » — (الاحياء ص ٥ طبعة الشعب) •

فكأنه بذلك قد اتخذ الدين ، والعبادات ذريعة الى ايقاع العوام ومن ليست لهم قدم راسخة فى فقه كتاب الله وسنة الرسول — فى علم الباطن ، والتفلسف ، والتشيع الغالى ، التى هى لب التصوف المقيت •

زد على ذلك أنه يقف من الفقه وعلمائه موقف العداء بصفتهم علماء الظاهر ، لا علماء باطن (١) •

ولذلك نبه السابقون ومن عاصروه ، على وجوب التفطن والحذر عند قراءة الاحياء ، وأنه لا تجوز قراءته الا لمن خبر أساليب القوم ، وفهم مراميهم التصوفية ، وقد قال الامام أبو عمر بن الصلاح نقلا عن الامام المازرى من كلام طويل له فى محاسن الاحياء ومذامه ، « بأن من لم يكن عنده من البسطة فى العلم ، ما يعتصم به من غوائل هذا الكتاب فان قراءته لا تجوز له » •

فهذا مبلغ تحرز علماء السنة السابقين من قراءة هذا المسمى (الاحياء) •

---

(١) انظر الاحياء : كتاب العلم من ص ٢ — ٤٩ •

وعلوم الدين فى هذا الكتاب (الاحياء) التى يعنى بها الغزالى طريق الآخرة ، هى علم المكاشفة الذى يرتفع فيه الغطاء حتى تتضح لصاحب هذا العلم جلية الحق « اتضاحا يجرى مجرى العيان الذى لا يشك فيه • وهذا ممكن فى جوهر الانسان لولا أن مرآة القلب ، قد تراكم صدؤها ، بقاذورات الدنيا » •

ومن علم طريق الآخرة ، أو من احياء علم الدين عند الغزالى : « العلم بكيفية تصقيل هذه المرآة عن هذه القاذورات • وبقدر ما ينجلى من القلب ، ويحاذى به شطر الحق يتلألأ فيه حقائقه » والطريق الى ذلك عند الغزالى ، الرياضة الصوفية ، ومدارسة العلم الباطنى السرى، وهذا العلم كما يقول عنه ، لا يسطر فى الكتب ، ولا يتحدث به من أنعم الله عليه بشىء منه الا مع أهله ، على سبيل المذاكرة ، وبطريق الاسرار ويستدل على ذلك بهذا الحديث الضعيف : « ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه الا أهل المعرفة بالله تعالى » •

وهذا على غير هدى الله وسنة رسوله ، فان الله سبحانه وتعالى، قد قال فى أول آية وأول سورة نزلت من القرآن الكريم : « اقرأ باسم ربك الذى خلق » ، « اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم » ، وقال الرسول (ص) : « قيدوا العلم بالكتابة » • فالدين الاسلامى ، دين الحياة ، ودين الدنيا ودين الوضوح ، وليس بدين الاسرار والغيبيات والكهنوت الاحتكارى الذى يحتجز العلم عن الناس ويدعى معرفته بطريق الكشف الصوفى ، أو بطريق جلاء مرآة القلب بالرياضة الزهدية ، والتقشف • ، وانما يطلب العلم بالطريق الذى تعارف عليه الناس منذ الازل ، وهو القراءة والكتابة ، وهما الطريق العادى والسبب المادى الذى يجب أن يتخذ لتحصيل العلم ، أو بثه للغير •

فهذا هو احياء علوم الدين للغزالى ، وهو كما نرى احياء لعلوم الالحاد والوثنية ، وأبعد ما يكون عن احياء علوم الدين الاسلامى بقرار الغزالى نفسه • وللحديث بقية ان شاء الله • **ابراهيم هلال**

الذين يجادلون بالباطل فى تحريم الخمر

بقلم : محمد عبد الله السمان

وردت الانباء أخيرا بأن الهند أصدرت تشريعا بتحريم الخمر فى جميع بلادها ، وتحريم الاعلان عنها فى أى مكان ، ولم يستثن التحريم الاماكن العامة ، ولم يراع عيون السياح الاجانب • •

والهند الهندوكية لم تستوح هذا التشريع العظيم من وحى السماء ولا من كتاب منزل من عند الله ، ولا من شرائع الديانات السماوية ، وانما استوحته من المصلحة الوطنية والقومية ، التى تضعها فوق كل اعتبار ، ولا سيما اذا كان هذا الاعتبار لا يعنى الا قلة من المترفين المفسدين ، التى وقفت حياتها على شهواتها • •

وما زلت أذكر أن « نهرو » بعث بمنشور دورى — قبل وفاته — الى جميع سفارات الهند بالخارج ، يدعو فيه السفراء الى عدم تقديم الخمور فى الحفلات الرسمية التى تقيمها السفارات الهندية فى المناسبات، وكان مما جاء فى منشور رئيس الهند يومئذ : « ان ثمن زجاجة « ويسكى » يكفى لاشباع عشرة من الهنود » •

ولنا أن نتساءل :

أيهما أحق بهذا التشريع العظيم : الهند الهندوكية التى لا ترتبط بدين سماوى ، أم مصر الاسلامية ، التى ينص دينها — بما لا يدع مجالا للجدل — على تحريم الخمر ، وعلى لعنة عاصرها وشاربها ، وحاملها والمحمولة اليه ؟ •

ومثل هذا التساؤل لا يرضى عنه — بالطبع — عقول تصرف عن الحق ، وأقلام تهذى بالباطل ، وأصحاب العقول وأصحاب الاقلام ، هؤلاء • • لا نقيم لهم وزنا ، لانهم أتفه من أن يقام لهم أدنى وزن ، لانهم من ناحية أبعد ما يكونون عن الاسلام — وان نطقت شهادات مواليدهم بأنهم مسلمون ، ولانهم من جانب آخر ، يتوهمون أنفسهم

عصريين ، والعصرية عندهم لا تعنى المبادىء ولا القيم ولا الاخلاق ، وانما تعنى الانحلال والاباحية و « البوهيمية » والانطلاق . .

ان المخدرات فى مصر محرمة بقانون وضعى مثلا ، ولكن هؤلاء التافهين السفهاء ليس بوسعهم أن يعترضوا على القوانين الوضعيـــة لان لها حماية من نظام الدولة ، ولكن بوسعهم ــ فحسب ــ أن يثيروا الدنيا باعتراضهم على تحريم الخمر المحرمة بتشريع الهى ، لان التشريع الالهى ليست له أدنى حماية . . الا من الله وحده . . ! ! أجل ليس بوسع هؤلاء التافهين السفهاء الصغار أن يبدوا أى اعتراض على العقوبة المقررة على تاجر المخدرات والتى قد تصل الى السجن بضع سنوات ، ولكن بوسعهم أن يقيموا الدنيا ويقعدوها لان شريعة الاسلام تعاقب شارب الخمر بالجـــلد . . وليس الاعدام ولا الســـجن مع الاشغال الشاقة . . !

قلت : ان هؤلاء التافهين ، ليسُوا جديرين بالدخول فى حوار معهم لاننا لا نقيم لهم وزنا ، ولانهم ليسوا أهلا لان يقام لهم وزن ، اذن فهدفنا فريق آخر من الناس ، أضلهم الله على علم ، هذا الفريق يلبس مسوح الحكماء والفلاسفة ، وليس من الحكمة ولا الفلسفة فى شىء ، وهو فى الحقيقة ليس الا من فصيلة ببغاوات السفسطة بلا حياء . . هذا الفريق يصوغ من الاوهام عقبات فى طريق شريعة الله ، البعض منه يزعم أن تحريم الخمور يؤثر فى دخل السياحة . . كأن السياح الاجانب لا يممون وجوههم شطر مصر من أجل آثارها ومعالمها وطبيعتها وانما ــ فحسب ــ من أجل الخمور التى تستوردها مصر من بلادهم ، وتباع فى مصر بأضعاف أضعاف أثمانها فى بلادهم . . والبعض الآخر يزعم أن تحريم الخمور يأتى بنتيجة عكسية ، اذ ستصبح الخمور سلعة قابلة للتهريب ــ كالمخدرات ــ وسوف تباع فى السوق السوداء ، بل قد تصبح سلعة مرغوبة ، لان كل ممنوع مرغوب . . ولا نظن أن مثل هذا المنطق يليق حتى بأنصاف العقلاء فضلا عن العقلاء أنفسهم . .

أما ما يثير الاسى والالم حقا فهو أن يتصدى شيخ لشريعة الله ، شاء حظ الازهر التعس أن يكون هذا الشيخ واحدا من المنتسبين اليـــه ، يخرج علينا هذا الشيخ برأى شاذ غاية فى الغرابة ، فكل ما يصبو اليه فى حياته أن تسلط الاضواء عليه ولو عن طريق الآراء الشاذة الغريبة • يقول هذا الشيخ :

« لا يمكن تحريم الخمور الآن ؟ لمـــاذا أيها العالم « النحرير » ؟ لان من مواطنى مصر مسيحيين لا يحرم دينهم الخمر • • ولا يملك الانسان الا أن يضحك بملء فيـــه من منطوق الشيخ ــ وشر البلاء ما يضحك ــ كما يقولون • • : كأن شريعة الله قد غفلت عما لم يغفل الشيخ « الفقيه » عنه • • ولو جارينا منطق الشيخ جدلا ، لكان من حقنا أن نتساءل :

لمـــاذا تبيح الدول التى يمثل المسلمون جزءا مهما من سكانها لحم الخنزير المحرم فى دين الاسلام ، من هذه الدول على سبيل المثال : روسيا والصين ويوغسلافيا والحبشة ؟ ثم لمـــاذا نحل للقوانين الوضعية أن تكتسب صفة العموم والشمول ، ولا نحل ذلك لشريعة الله عز وجل ؟

لو أن الله سبحانه قد كتب شيئا من التوفيق للشيخ لاثار مسألة فقهية لا تحتاج الى اجهاد ذهن منه ، فالفقهاء المسلمون يرون استثناء أهل الذمة من مسألتى الخنزير والخمر ، ما دام ذلك فى حدود بيئتهم ، وفى حدود التعامل فيما بينهم • •

لكن الشيخ ــ سامحه الله ــ تفتق ذهنه عن بديل لشريعة الله سبحانه ، اذ يقترح لحل مشكلة الخمور أن يأتى الحل عن طريق الوعظ والارشاد ووسائل الاعلام ، بالدعوة الى محاربتها ، ويتجاهل الشيخ أن مثل فلسفته هذه تؤدى بطريق مبـــاشر الى تعطيل أحكام الله عز وجل ، ويصبح لا مبرر حتى للقوانين الوضعية وفى مقدمتها القانون الجنائى ، ويتجاهل الشيخ من ناحية أخرى كلمة عمر رضى الله عنه

ان الله ليزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن ٠ ٠

ان الانسان المسلم مضطر الى أن يصاب بالكثير من الاسى والخجل معا ، حين يقارن بين موقف شيخ مسلم وعالم من علماء الازهر بحكم شهادة العالمية التى منحها ، وبين موقف قس مسيحى هو القمص المحترم بولس باسيلى عضو مجلس الشعب ، حين نوقشت مسألة تحريم الخمور فى جلسة المجلس التى انعقدت فى السادس عشر من شهر مايو الماضى ، ووقف القمص المحترم يقول : « لعـــله يتبـــادر الى ذهن بعض غير الراسخين فى علم المسيحية ، أنها توافق على الخمر ، ولكن اذا كان القرآن يحرم الخمر فان المسيحية تقول : ان الخمر مستهزأة ، بل انها تحرم حتى النظر الى الخمر ، لانها تلدغ مثل الحية ، والمسيحية تتفق مع الاسلام فى تحريم الخمور ٠ ٠ ! »

وبعـــد ٠ ٠ ٠ :

فلقد ذكرت الانباء ، أن تقريرا فى الايام السالفة رفع الى المسئولين فى الولايات المتحدة ، جاء فيه : ان من بين ستة شبان يتعاطون الخمور خمسة لا يصلحون للجندية ٠ ٠ » ؟

وفى مصر دولة العلم والايمان ٠ ٠ فى مصر الدولة الاسلامية التى يتطلع اليها العالم الاسلامى كمركز اشعاع له ٠ ٠ فى مصر بلد الازهر الشريف الذى حمل منار العلوم الاسلامية منذ ألف عام ٠ ٠ ٠ فى مصر هذه نرى من المسلمين من يجـــادل فى تحريم الخمور كمبـــدأ اسلامى مقرر ٠ ٠ يجادل بالباطل لان الله أضله على علم ٠ ٠ ان فى صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه ٠ ٠ « أفحكم الجاهلية يبغون ٠ ٠ ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ؟ » ٠ صدق الله العظيم

محمد عبد الله السمان

خالد بن الوليـــد

للشاعر الاستاذ سيد عبد الرءوف سيد

الموجه العام بوزارة التعليم

تقـــديم * :

خالد بن الوليد بطل من أبطال الاسلام ، عرف بجرأته ، وشجاعته وحبه للحرب ، وكأنه كان يرى السيف هو الذى يقضى فى الخلاف ، لا الرأى .

ويؤكد حبه الحرب كلام كثير ، منه قوله : « ما ليلة يهدى الى فيها عروس ، أنا لها محب ، أو أبشر فيها بغلام ، أحب الى من ليلة شديدة الجليد فى سرية من المهاجرين أصبح بهم العدو ، فعليكم بالجهاد»

ومما يؤكد حبه للحرب ، وشجاعته :

١ ــ شهوده نحو مائة زحف ، وكان فى صدر الجيش دائما ، وهو قائده ، وكان اقدامه يبعث القوة فى نفوس جنده ، والثقة بأنهم لا بد منتصرون ، حتى لقد قال عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ عند عزله :

« خفت أن يفتن الناس به ، وأردت أن يعلموا أن الله هو الصانع» .

٢ ــ ركوبه الاخطار فى حروبه ، ولا سيما فى حروب المرتدين ، وجهاده مسيلمة الكذاب ، وقومه الاشداء ، واقتحامه الهول فى اجتياز الصحراء بين العراق والشام ، لينجد الجيش الاسلامى الذى يحارب الروم (كما سنرى) .

٣ ــ ظفره فى حروبه الكثيرة التى شهدها .

---

* رغبة فى القاء ضوء يساعد على فهم القصيدة ، وما اشتملت عليه من اشارات تاريخية فى حياة خالد بن الوليد مهدت لها بهذا التقديم ، كما قمت بشرح المفردات والاساليب فى الهامش (رئيس التحرير) .

٤ ــ وهناك شجاعة أعظم من الاقدام ، وهى الاحجام (١) اذا كان الاحجام حزما ، كالذى فعله مع جيش المسلمين فى معركة مؤتة (٢)، فانه بعد أن صرع القواد الثلاثة (٣) واختار المسلمون لقيادتهم خالدا ــ نظم التراجع ، بأن عبأ الجيش تعبئة توهم العــدو أن مددا جاءه ، وجالدهم ، ثم رجع بمن بقى من الجيش ، ولم يهلكهم بالتورط فى حرب خاسرة ، فانه من العجز فى الرأى ، لا الشجاعة فى الحرب ، أن يقابل قائد بفلول جيش جيشا جرارا ، وافر العدد (٤) والعدد ، مقيما بأرضه، لم ينهكه سفر ، مطمئنا الى المدد من الزاد والسلاح والرجال ، عارفا بدروب بلده ومسالكها ، وقد رضى النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ عما صنع .

وليس من السهل على القائد المظفر أن يتراجع ، الا اذا كان شجاع الرأى حازما ، وهكذا كان خالد رضى الله عنه ، فلم يتورط هو وجنده فى مهلكة ، كما فعل نابليون وهتلر فى عصرنا هذا ، ولم يعتبر الآخر بالاول ، فكلاهما أهلك جيشه فى بلاد الروس ، مغرورا بقوته . أما خالد فقد رجع بجيش المسلمين من مؤتة ، ولو تورط فى الحرب لهلك المسلمون جميعــا .

خالد فى عهد أبى بكر ، رضى الله عنهما :

كان عهد أبى بكر العهد الذهبى لجهاد خالد ، فان الحروب التى قادها خالد لحرب المرتدين والمتنبئين هى التى أقرت الاسلام فى الجزيرة

---

(١) الاحجام : الرجوع والنكوص ، وهو ضد الاقدام .

(٢) مؤتة : قرية بالشام كانت بها غزوة مؤتة فى السنة الثامنة للهجرة بين المسلمين والروم ، وتسمى هذه الغزوة أيضا : بعث الامراء لتعدد امرائه بحيث اذا قتــل أمير خلفــه أمير : زيد بن حارثة ، فجعفر بن ابى طالب ، فعبد الله بن رواحة ، كما رتبهم رسول الله صلى اله عليه وسلم .

(٣) زيد بن حارثة وجعفر بن ابى طالب وعبد الله بن رواحة .

(٤) بلغ مائة الف من الروم ، ومائة الف اخرى من نصارى العرب .

العربية ، وثبتت أركانه فيها ، واشتراكه فى حرب الفرس والروم أدى الى انتصار المسلمين ــ بفضل الله تعالى ــ وانتشار الاسلام •

حرب المرتدين والمتنبئين :

بطلها خالد بلا مراء ، ولا ننكر فضل سائر القواد المجاهدين فيها من المسلمين ، لقد ظهر المتنبئون فى عهد النبى ــ صلى الله عليه وسلم : ظهر مسيلمة الكذاب ، وتميم بنى حنيفة ، وطليحة النمرى ، والاسود العبسى ، وظاهرهم قومهم ، عصبية منهم لاخوانهم ، لا ايمانا بنبوتهم وكانوا يقولون : نبى من قومنا خير من نبى قريش •

ولما قبض رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ استفحل شرهم ، وارتد كثير من القبائل عن الاسلام ، ورأى أبو بكر ــ رضى الله عنه ــ حربهم ، وجهز لهم الجيوش ، وقاد خالد معظم الوقائع ، فانتصر على المرتدين والمتنبئين ، وقتل كثير منهم ، وتعقب خالد فلولهم (١) فى أنحاء الجزيرة ، ووقف منهم موقف الصرامة والشدة ، حتى قضى على أخطر فتنة ظهرت بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم •

خالد فى العراق :

لم يكد أبو بكر ينتهى من أمر المرتدين حتى عزم على جهاد الفرس والروم ، ليؤمن الدولة الاسلامية الناشئة ، فأمر خالدا ، وعقد له القيادة العامة عليها ، وكان اسمه يسبقه الى أطراف هاتين الدولتين ، فيملأ القلوب رعبا وفزعا •

خرج خالد الى أرض فارس ، وهجم المسلمون على جيش الفرس ، ففروا مهزومين كالقطيع المذعور ، وانتصر عليهم خالد فى خمس عشرة موقعة ، وطارت أنباء انتصاراته الى أبى بكر فسر بها ، وأذاعها فى أنحاء الجزيرة العربية •

---

(١) فلولهم : بقاياهم المنهزمة .

خالد فى الشام :

بينما كان خالد يسير من نصر الى نصر ، ويؤمل أن يدخل المدائن عاصمة كسرى ــ جاءه أمر أبى بكر أن ينجد جيش الشام الذى ألقت اليه الروم بكل ثقلها ، فأطاع الامر ، وتحمل المشقات ، وكان له النصر •

ولكن أبا بكر ــ رحمه الله ــ لم يتح له أن يفرح بهذا النصر ، فقد مرض ، وتوفى ، واستخلف عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ فأرسل عمر رسوله الى جيوش المسلمين يخبرهم بوفاة أبى بكر ، واستخلافه ، وبعزل خالد عن امارة الجيش ، وبجعل هذه الامارة لابى عبيدة ، فماذا كان من أبى عبيدة ، ومن خالد ؟

أما أبو عبيدة ــ رضى الله عنه ــ فقد كان يوم وصول الكتاب تحت امرة خالد ، والمعركة دائرة ، فحمله حرصه على الوحدة ، واتقاء الفتنة أن يكتم الكتاب ، حتى تم النصر بقيادة خالد ، فأعلمه بكتاب عمر ، فامتثل خالد فى سماحة نفس ، وعمل جنديا تحت قيادة أبى عبيدة ، لانه يجاهد فى سبيل الله ، لا لحظ من حظوظ الدنيا ، ولا لامارة يتولاها ، وأخلص النصح للقائد ، ولم يبخل برأى نافع ، ولا بخطة يراها صالحة لجند المسلمين ، حتى تم برأيه فتح دمشق ، ثم وجهه أبو عبيدة الى شمال الشام ، فأوغل فيها الى قنسرين ، فبلغ ذلك عمر ، فأدرك أن أبا بكر كان محقا ، اذ رفض عزله عندما أشار عليه بذلك بعد مقتل مالك ابن نويرة فى حرب الردة ، وزواجه امرأته والحرب دائرة ، وقال عمر : « أمر خالد نفسه ، رحم الله أبا بكر ، كان أعلم بالرجال منى » •

ولم يكتف عمر بعزل خالد ، وانما حاسبه حسابا عسيرا ، وعنفه تعنيفا شديدا •

وقد عاتب خالد عمر على شدته فى معاملته ، فأجابه : يا خالد ، والله انك على لكريم ، وانك الى لحبيب ، ولن تعاتبنى بعد اليوم على شىء • ثم أذاع فى الناس أنه لم يعزل خالدا عن ريبة فيه ، فكتب الى الامصار : « انى لم أعزل خالدا عن سخطة ولا خيانة ، ولكن الناس فتنوا به ، فخشيت أن يوكلوا اليه ، ويبتلوا به ، فأحببت أن يعلموا أن الله هو الصانع ! ! •

فماذا كان من خالد بعد عزله وحسابه وتعنيفه ؟ طاعة وولاء ، لانه لم يخرج الا لله ، ولم يعمل الا لله ، ويعلم فى الوقت نفسه أن الفتنة والفرقة شر على الاسلام والمسلمين ، وهو من أعز الله به الاسلام والمسلمين ــ كما أنه يعرف أن عمر مخلص لله فيما يأتى وفيما يدع ، ولقد قال خالد عن عمر لابى الدرداء : « قد كنت وجدت (١) عليه فى نفسى فى أمور كلما تدبرتها فى مرضى . . . عرفت أن عمر كان يريد الله بكل ما فعل » .

وفاته :

أعفى عمر خالدا من الجهاد والقتال بعد أن بلغ قمة المجد ، وأحرز من الانتصارات فى قيادة الجيوش ، وفى وقائع الحروب ما لم يحرزه قائد فى التاريخ .

وكان آخر ما قاله خالد ساعة الموت ، وهو يجود بآخر أنفاسه : « لقد طلبت القتل فى مظانه فلم يقدر لى الا أن أموت على فراشى ، ولقيت الزحوف ، وما فى جسدى شبر الا وفيه ضربة سيف ، أو رمية بسهم ، أو طعنة برمح ، وها أنذا أموت على فراشى كما يموت البعير ، فلا نامت أعين الجبناء » .

ومات خالد فى خلافة عمر ، سنة احدى وعشرين من الهجرة ، ودفن بحمص . رحم الله خالدا ، ورضى عنه .

وهذه البطولات فى حياة خالد ، يقدمها شاعرنا فى هذه القصيدة :

وقفت لدين الله وقفة (٢) ماجد فصرت بها أنشودة اليوم والغد
كأنى بسيف الله(٣) فى حومة الوغى(٤) يصول أمامى(٥) فاتكا (٦) بمهند «٧»
أكاد أناديه : سلمت وبوركت يمينك يا ميمون ، يا خير قائد

---

(١) غضبت منه .
(٢) وقفة : بكسر الواو . (٣) سيف الله : لقب خالد .
(٤) حومة الوغى : اشد موضع فى الحرب (٥) يصول : يثب .
(٦) الفاتك : الجرىء (٧) المهند : السيف

سياسته كر (١) ، وما فر خـالد ... ولا نال منه فى الوغى جمع حاشد (٢)
قليل معادوه ، وان جل جمعهم ... ففى سيفه البتار (٣) منجل حاصد
طلعت على الاعـداء كالموت ماله ... مرد ، ولا منجـاة منه لقاصـد
اذا قيل : هذا خالد ضاق رحبهم ... وفر دعى الكر من وجـه خالد
عجبت لسيف الله : هل كان أمة ... فجمعها الخلاق فى شخص واحد ؟
لقد كان ذا سيف يروع (٤) مجردا ... ويفزع منه الخصم غير مجرد (٥)
فتى الحرب : نبئنـا بأية قـوة ... سقيت عداك الموت فى كل مورد
وفى أى دور العـلم نشئت قائدا ... يبز (٦) رجال الحرب من كل معهد
ألا : انه الايمـان بالله وحـده ... وما سنـه للزحف شرع محمـد
به (٧) حاربوا كى ينشر الدين هديه ... وما أعلنـوها مرة حرب معتـد
بخ (٨) خالدا يا مسلما فى فتوحه ... ويا مثلا أعلى به الحر يقتـدى
ومن عز دين اللـه حقـا بغزوه ... وخـلده فينـا بلاء المجـاهد
لقد ظن أهل الردة الكفر قد صحا ... وصدع (٩) دين الحق بعد محمد
فألزمهم منهـاجه سيف خـالد ... وفى السيف طب للكفور المعـاند
اذا لم يكن للحق عضب (١٠) يصونه ... تطاول (١١) فى بغى (١٢) له كل ملحد (١٣)
ألا أيهـا التاريخ حدث بخـالد ... فمثلك من يروى (١٤) حديث الاماجد
رمينا فأصمينا (١٥) به ملك فارس ... وصارت بلاد الروم فى قبضة اليد
عروش تداعت هامها (١٦) بعد رفعة ... وفرت تبـاعا واحدا بعـد واحد

---

(١) الكر : ضد الفر .
(٢) حاشد : جامع (٣) البتار : القاطع (٤) يفزع .
(٥) جرد السيف من غمده : سله ، فسيفه يخيف ، سواء أكان مجردا من غمده ، أو كان فى غمده غير مجرد (٦) يبز : يغلب (٧) به : بالشرع
(٨) بخ : كلمة تقال عند الرضا والاعجاب بالشىء .
(٩) صدع : بضم الصاد ، وكسر الدال المشددة ، بالبناء المجهول ، ونائب الفاعل : دين الحق ، (١٠) سيف عضب : قاطع (١١) تكبر وترفع
(١٢) الظلم وتجاوز الحد . (١٣) الملحد فى الدين : الطاعن فى الدين ، المائل عنه . (١٤) بفتح الياء (١٥) قتلنا (١٦) جمع هامة ، وهى الرأس .

أفاءت الى دين يـلم شـتاتهـا ... ويبنى على التوحيـد كل مشيـد
أيـا خـالدا للـه درك خـالدا ... غزوت ولم تمنن بغـزو مـؤيـد
أجبـت أمير المـؤمنـين لعـزله ... كريما ، فلم تفـزع ولم تتردد (١)
فزدت به مجدا طريفا (٢) أضفته ... الى كل مجد فى الفتوحات تالد (٣)
بلوت (٤) أبا حفص (٥) ومن يبل مثله ... يجبـه الى رأى له غير حاقد (٦)
لقد خاف أن تغتر بالنصر شامخا ... فسر وقـد ألقاك أقدر زاهد (٧)
ورب أخى نصر يضـل بنصره ... وينسـج ثوبا من غرور ويرتدى
هو المن لا يبقى لـكسب مثـوبة ... ويرجع من يغنى(٨)به فارغ اليد(٩)
يمينـا بربى ما بغيـت ولا بغى ... وما لكما ند (١٠) بميـزان ناقـد
كريمان ماراما(١١)سوى الله وجهة ... وما لهمـا من دونه أى مقصـد
فهـذا هو الفـاروق يبكى لموته ... ويعذر من يبكى على فقـد خـالد
وتمضى به الايام لـم ينس يومه ... الى أن تلاقى الصحب عنـد محمد
أخا الحرب طب نفسا بخلد منعما ... بخـير جوار فوق أكرم مقعـد
تطـل علينـا منـك روح كريمة ... تنـادى بهـا أهلا لجمع موحـد
أخا العرب قد بلغت من كان واعيا ... وأنت لمـا بلغت أصدق شـاهد
أخا العرب طب نفسا غدا نحمد السرى (١٢)
وليس بعيـدا مطلـع الفجـر من غـد

---

(١) وانما ظل على طاعته وولائه لعمر بعد عزله ، كما رأينا .
(٢) جديدا ، وهو مجد الاخلاص بعد العزل (٣) قـديم ، وهو مجد الانتصـارات السابقة (٤) اختبرت (٥) يا ابا حفص ، وهو كنية عمر بن الخطاب . (٦) لم يكن عمر فى عزله خالدا حاقدا ، وانمـا خشى أن يفتن الناس به ، وأحب أن يعلموا أن الله هو الصانع ، وأن النصر من عند الله (٧) كان ازهد ما يكون فى المناصب (٨) يستغنى بالمن
(٩) لا غناء له ، وفى هذا البيت اشارة الى ما ضربه الله من أمثال فى القرآن الكريم ، تبين احباط المن للعمل ، وذهابه بثوابه ، كما جاء فى آيتى ٢٦٤ ، ٢٦٦ من سورة البقرة (١٠) نظير ومثيل . (١١) ما أرادا
(١٢) السرى : السير بالليل ، والشاعر يشير بهذا البيت الى ما ننتظره من نصر ـــ باذن الله ـــ اذا اتحدنا ، وتمسكنا بالاسلام .

المسلمون . . عندما يغيب العقل ! ! (٢)

للأستاذ عبد الكريم الخطيب

- ٣ -

واذ ننظر اليوم فى المجتمع الاسلامى كله ، نجد أنماطا متعددة من الثقافات المختلفة ، فهناك العوام ، وهم أكثر المسلمين عددا ، ثم هناك من أطلق عليهم « المثقفون» وهم الذين تخرجوا فى الجامعات العربية والاسلامية ، وجامعات أوربا وأمريكا ، وهؤلاء يمكن أن يطلق عليهم « علمانيون » بمعنى أنهم طبقة أرستقراطية التفكير ، ومفهوم هذا عندهم أنهم « عقلانيون » لا شأن لهم بالدين ، وما فيه من غيبيات لا تخضع لمدركات العقل . . ثم انه من كان له نظر فى التدين ، أحس أنه اذا كان عليه أن يتعرف الى حقائقه أن يطرح عقله وراءه ، قبل أن يدخل الى حرم الدين ! .

ثم هناك طائفة أخرى ، وهى جماعات رجال الدين ، وما تضم جماعاتهم من علماء فى الدين ، ومتصوفة ، وأرباب طرق وغيرهم . . وهؤلاء جميعا يمثلون قطاعا كبيرا من المجتمع ، واليهم تتجه أنظار العامة فى كل ما يتصل بالدين . .

وعلى هذا يمكن أن نقول ان مجتمعنا الاسلامى يحكمه طرفان ، طرف يمثل المثقفين العقلانين ، وطرف يمثل رجال الدين ، وأصحاب الطرق المتصوفة ، وما تحت سلطانهم من العوام . .

وليس بين هذين الطرفين تلاق فى وجهات النظر ، وفى مناحى التفكير ، التى توجه الانسان الى الطريق الذى يأخذه فى الحياة .

فالمثقفون العقلانيون ، يعيشون فى عزلة باردة مع عقولهم التى لم تشتعل بحرارة العاطفة الدينية ، وهم لهذا يشعرون بأنهم محرومون من تلك العاطفة ، فاذا صادفهم من يفتح لهم الطريق الى الدين كانوا بين أمرين : اما أن يتلقوا كل ما يسمعون دون مراجعة أو اعتراض ، باعتبار أنهم انما يتلقون ذلك من أهل الذكر ، الذين هم على صلة بالله ،

فاذا بدا لأحد منهم أن يسأل أو يعترض ، ألقوا اليه بهذه القولة العمياء: « من أعترض امترض » • • وبهذا يدخل هذا المثقف الى ساحة الدين بلا عقل ! • •

واما أن يتلقى المثقف من هؤلاء المثقفين ما يتلقى من هؤلاء الدينيين ممسكا بعقله ، حريصا على ألا يقبل شيئا من أمور دينه ، دون أن يكون لعقله مشاركة فيه ، وهنا يجد الطريق الى الدين مسدودا دونه ، فيعطى الدين ظهره ، ويقبل — كارها — أن يعيش مع عقله ، فى حيرة ، وقلق ، وجزع عاطفى يحرق الكبد ! •

وهكذا ، لا نجد للدين مكانا الا فى بيوت العبادة ، نجده مظهرا أكثر منه مخبرا • • أما خارج بيوت العبـــادة ، فلا يعرف المؤمن من الملحد ، ولا من كان من حزب الله أو حزب الشيطـــان ، اذ لم يكن للمتدينين أثر ظاهر لدينهم فيما يأتون وما يدعون من شئون الحياة • • انهم اذا خرجوا من المساجد ، ودخلوا فى غمار الحياة ، صافحوا الدين على باب المسجد ، وتركوه هناك ينتظرهم الى أن يعودوا للصـــلاة ، وحتى لكأنهم بهذا يخافون على الدين أن يخالط الحياة معهم ، فيدخل عليه ضيم مما يلابسون من شئون الحياة ، ولهذا فانهم لا يتحرجون من أن يخوضوا فى الاوحال ، ما دام الدين هناك بعيدا عنهم قابعـــا فى المسجد ! •

فالمتدينون يعيشون منقسمين على شخصياتهم • شخصية فى مقام العبادة والذكر ، وشخصية خارج مقام العبادة فى الحياة • • وتلك حال أشبه بحال المنافقين ، يلبسون أكثر من وجه • •

والذى يلبس وجها واحدا — أيا كان هذا الوجه من السوء والنكر أحسن ممن يلبس وجهين أو أكثر • • لان الاول يعرف ذاته ، على حين أن الآخر لا يدرى من هو ! ! •

— ٤ —

وقد صور « الكواكبى » — رحمه الله — هذه الحال أبرع تصوير فى كتابه « أم القرى » اذ يقول على لسان المندوب المدنى ، الذى يمثل

أهل المدينة فى المؤتمر الاسلامى الذى تصوره فى خياله ، وجعل مقره « أم القرى » (مكة المكرمة) (١) يقول الكواكبى :

« ان السبب ــ فيما أصاب الامة الاسلامية من ضعف ، وما سرى فيها من فساد وانحــلال ــ هو تدليس رجال الدين وغلاة المتصوفين الذين لونوا الدين بلون سيىء ، فأضاعوا وأضاعوا أهله . . ذلك أن العلماء العاملين أهل تجلة واحترام ، قلما حسدهم من لا يستحق هذه المنزلة ، سلكوا (٢) مسلك الزاهدين . . ومن العادة أن يلجأ ضعيف المقدرة الى التصوف ، كما يلجأ فاقد المجد الى الكبر ، وقليل المــال الى التظاهر بزينة اللباس والاثاث . . فأفسد هؤلاء ــ المتصوفة ــ الدين، بما أدخلوا فيه ما ليس منه ، كالعلم اللدنى ، وترتيب المقامات ، ووراثة السر ، والرهبنة ، والتظاهر بالعفة ، والتبرك بالآثار ، والكرامة على الله ، والتصرف فى القدر ، فسحروا الجهلاء ، واختلبوا قلوب الضعفاء، والنساء يبذرون هذه البذور الضارة فى أبنائهن وبناتهن ، فماتت النفوس وخرفت العقول ! ! » .

ثم يقول « الكواكبى » على لسان المندوب الرومى(٣) : « ان داءنا الدفين ، دخول ديننا تحت ولاية العلماء الرسميين ، والجهال المتعممين، وبلغ أمرهم فى البلاد العثمانية أن صارت الالقاب العلمية منحة رسمية، تعطى للجهال ، حتى للأميين والاطفال ــ كمشيخة الطرق عندنا ــ فقد يكون طفلا ، ويمنح بالوراثة لقب « أعلم العلماء المتبحرين » ثم «أفضل الفضــلاء المدققين . . ثم ، وثم حتى يوصف بأنه : « أعلم العلمــاء المتبحرين ، وأفضل الفضلاء المتورعين ، وينبوع الفضــل واليقين » وأكثرهم لا يحسنون حتى قراءة ألقابهم ! !

وطبيعى أن هؤلاء يقابلون السلطان ــ مانح الالقاب ــ بالمثل ،

---

(١) عقد هذا المؤتمر ــ كما يقول الكواكبى ــ فى مكة المكرمة يوم ١٥ من ذى القعدة سنة ١٣١٦ هـ .

(٢) أى هؤلاء الحاسدون .

(٣) يقصد اليونان ، وقبرص ، وغيرهما من البلاد الاوربية التى كانت خاضعة يومئذ للخليفة العثمانى ، وداخلة فى دار الاسلام .

فهو صاحب العظمة والاجلال ، المنزه عن النظير والمثال ، مهبط الالهامات مصدر الكرامات ، سلطان السلاطين ، مالك رقاب العالمين • • وأصبح التدريس ، والارشاد ، والوعظ ، والخطابة والامامة ، سلعا تباع وتشترى ، وتوهب وتورث ! ! » •

ويأتى الشيخ « محمد رشيد رضا » — رحمه الله — بعد « الكواكبى » فيرى أن الحال تزداد سوءا ، وأن الدين يعانى من أهله أشد مما كان يعانيه أيام الكواكبى • • فيقول :

« اتخذ المسلمون هذا القرآن مهجورا الا ما يتغنون به من بعض سوره فى المحافل الجامعة ، ففقدوا روح الدين ، وتبع الروح الجثمان ، الا القليل من الرسوم الماثلة فى جانب بروج البدع المشيدة ، وانما أبقى على تلك الرسوم تمسك العوام بها ، فلولاهم لما بالى بها الامراء والرؤساء الذين لا قوام لمعظمهم الا خضوع العامة لهم ، لذلك جعلوا الدين رابطة سياسية ، وآلة لاخضاع العامة ، ولذلك يحاربون من يدعون الامة الى الكتاب العزيز ، ويستعينون عليه بعلماء الرسوم الذين يستمدون سلطتهم ورزقهم وجاههم منهم ، لئلا تتوجه نفوس الجمهور الى كتاب الله ، فيعرو رياستهم الاضطراب والزلزال ! !

« هذا هو الحجاب بين الامة وبين الاعتبار بالقرآن ، والاهتداء بهديه • •

ثم يقول الشيخ رشيد :

« فيأيها المسلم المقلد لوالديه ومعاشريه وأقرانه ، الذى يحسب أنه من أهل الجنة لانه ولد وربى بين المسلمين ، ورضى ببعض ما هم عليه من رسوم الدين ، أو اتكالا على شفاعة الاولين • • اقرأ واسمع وتأمل ما عاتب الله تعالى به أفضل سلفك الصالحين ، ومما ذكره عمن سبقهم من المؤمنين ، اذ يقول سبحانه : « أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله • • ألا ان نصر الله قريب » (البقرة : ٢١٤) •

« يأيها العلماء بالرسوم ، والعاكفون على قراءة كتب العلوم ،

ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب ، فقد وضـــع كتاب الله الميزان للصادقين والمنافقين » .

— ٥ —

والحق أن الذى دخل على المسلمين من ضعف ، وما أصابهم من تأخر عن ركب الحياة ، انما هو بسبب ضعف العقيدة الدينية ، وفتور الوازع الدينى ، عند عامة المسلمين ، وخاصتهم على السواء .

فالعامة مقلدون ، يتلقون دينهم عن علماء الرسوم ، الذين يصورون لهم الدين موقوفا على الحياة الآخرة وحدها ، ولا التفات له الى الدنيا ، وأن من التفت الى الدنيا ضاع منه دينه ، وفر من بين يديه ! .

والمثقفون والعلمانيون يتلقون من واقع الحياة ، ومن منطق التجربة الحية ، دون أن يكون للدين عندهم صوت مسموع ، وانما كل ما يدخل عليهم فى عالمهم هذا مجرد خطرات ووساوس ، تحـــوم حول الدين ، ولا تدخل فى صميمه . .

وهكذا نجد مجتمعنا الاسلامى كله بين رجلين : رجل يمارس الدين كحرفة يكسب به الدنيا بغير عمل ، ان كان ممن عنده شىء من علوم الدين ، أو يشترى الدين كصفقة يدخل بها الجنة من غير عمل ، ان كان من العامة ، وذلك بما يقدم من نذور ، وقرابين لتجار الدين . . ورجل تخفف من الدين ، وجعل همه كله فى الدنيـــا ، فدخل ميـــادين الحياة بلا دين . .

ولا شك أن كلا الرجلين اللذين يمثـــلان المجتمع الاســـلامى ، لا يصلحان لدنيا أو دين ، ولا يمكن أن يقوم منهما مجتمع انسانى سليم قادر على أن يجمع بين يديه خير الدنيا والآخرة معا .

فالصنف الاول ، الذى يمثله المتجرون بالدين ، ومن يتعامل معهم من العامة . وهؤلاء معزولون عن الحياة الدنيا ، يقفون موقفا سلبيا منها ، ولا يقدمون من ثمرها شيئا للآخرة ! .

والصنف الآخر ، الذى يمثله العلمانيون والعقليون ، غارقون فى الحياة ، يستهلكون كل وجودهم فيها ، وكل ما تخرجه أيديهم من أعمال،

هو محروم من لمسة الروح ، لا يعيش فى الحياة أكثر من يومه ، ثم يعطب ويتعفن • •

هذا هو الوجه البارز فى المجتمع الاسلامى • • وقليل هم أولئك الذين عرفوا الحق من دينهم ، فأعطوه الولاء الحق من أنفسهم ، فخالطت حقائقه وجودهم كله ، عقلا وقلبا ، جسدا وروحا ، فعملوا للدين والدنيا ، وآخوا بينهما اخاء الروح للجسد • • فكان دينهم علما ، وكان علمهم دينا • • وهؤلاء هم الغرباء فى مجتمعنا ، وهم الذين أشار اليهم الرسول الكريم بقوله : « بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ ، فطوبى للغرباء » قالوا يا رسول الله وما الغرباء ؟ قال : « ما عليه أنا وأصحابى » وكما قال ــ صلوات الله وسلامه عليه : « يأتى على أمتى زمان القابض فيه على دينه كالقابض على الجمر » •

فهل يكون زماننا غير هذا الزمان الذى أشار اليه الرسول صلى الله عليه وسلم ؟ كلا ، فاننا نعيش فى هذا الزمان ، الذى نبهنا اليه رسول الله ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ لنكون فيه على حذر ، ولنرى المخرج منه سالمين بديننا • •

يقول الاستاذ أحمد أمين فى مقدمة كتابه : « زعماء الاصلاح » وهو يستعرض حال المسلمين اليوم ، وما صارت اليه حقائق الدين عندهم:

« فقد الدين روحه ، وصار شعائر ظاهرية ، لا تمس القلب ولا تحيى الروح • • وسادت الخرافات ، وانتشرت الاوهام ، وأصبح التصوف ألعوبة بهلوانية ، والدين مظاهر شكلية ، ووسيلة النجاح ليس الجد فى العمل ، ولكن التمسح بالقبور والتوسل بالاولياء ، فهم الذين ينجحون فى العمل ، وهم الذين ينصرون فى الحروب • • والشوارع والحارات مملوءة بالدجالين والمشعوذين » •

ونقول : ان الداء يكمن فى حقيقة واحدة ، وهى عزل الدين عن العقل ، أو ابعاد العقل عن الدين ، أو بمعنى آخر ، القطيعة بين الدين والعلم ، عند المتمدينين ، وبين العلم والدين عند العلمانيين والعقلانيين•

فهل يقوم دين على غير علم ؟ وهل ينتفع بعلم بغير دين ؟

ذلك ما سوف نجيب عنه فى المبحث التالى ، ان شاء الله •

المؤتمرات الإسلامية فى السعودية[1]

تولى جامعات المملكة العربية السعودية وهيئاتها المؤتمرات الاسلامية مزيدا من الرعاية والعناية ، تقديرا لرسالتها السامية ، رسالة الاسلام الخالدة .

وكان من ثمرة هذه العناية عقد المؤتمرات الاسلامية الآتية :

أ ــ مؤتمر رسالة المسجد :

عقد فى مكة المكرمة فى الفترة ما بين الخامس عشر ، والثامن عشر من شهر رمضان المبارك سنة ١٣٩٥ هـ .

وقد وجهت رابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة الدعوة الى العلماء والمسئولين المسلمين فى كافة أنحاء العالم للاشتراك فى هذا المؤتمر وقد مثل ما يقرب من ثمانين بلدا من بلدان العالم برياسة سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رئيس الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة (وقتذاك) وتم تشكيل اللجان التالية :

١ ــ لجنة رسالة المسجد .
٢ ــ لجنة ادارة المسجد .
٣ ــ لجنة خطبة الجمعة واعداد الائمة .
٤ ــ لجنة التمويل .
٥ ــ لجنة التخطيط الهندسى للمسجد .
٦ ــ لجنة المجلس الاعلى العالمى للمساجد .
٧ ــ لجنة دائمة للمسجد الاقصى .

وبعد أن تدارس المؤتمرون جدول الاعمال ــ انتهوا الى مجموعة توصيات ، نقتطف منها ما يلى :

---

(١) أعد هذه الحلقة رئيس التحرير .

يوصى المؤتمر بما يلى :

١ ــ العناية بوضع مناهج اسلامية للدعوة تتلاءم مع واقع الحركة الاسلامية لكل منطقة ، ومراجعتها بين الحين والآخر لاضافة مزيد من الخبرات الميدانية التى تكونت للدعاة من خلال ممارستهم ميدانيا وعمليا .

٢ ــ التنسيق بين المسجد والوسائل الاعلامية والمؤسسات التربوية ، حتى تخدم جميعها عقيدة المسلم وتصحيح سلوكه حسب تعاليم الشريعة الاسلامية الغراء .

٣ ــ التوسع فى انشاء المساجد المتعددة الخدمات بحيث توفر لروادها اشرافا ثقافيا واجتماعيا وتربويا .

٤ ــ تنويع وسائل الدعوة بالكلمة المكتوبة والمسموعة وغيرها .

٥ ــ من الضرورى أن ينهض المسجد برسالته فى جميع الاماكن التى توجد فيها تجمعات اسلامية حيث يصبح وجود المسجد ضرورة فى كل مكان يتجمع فيه المسلمون كالمدارس والجامعات والمصانع والاندية والثكنات والمعسكرات وغيرها .

٦ ــ من الضرورى أن يلقى الشباب فى المسجد عناية خاصة بتوجيهه بالاسلوب الذى يتفق وعمر الشباب من ناحية ، وروح العصر من ناحية أخرى .

٧ ــ العناية بالمرأة حتى تنال نصيبها من الثقافة الاسلامية وأحكام دينها .

٨ ــ عقد اجتماعات دورية لائمة المساجد فى كل منطقة لتبادل الخبرات والتجارب ودراسة المشكلات التى تعترض مهمة المسجد ووضع الحلول المناسبة لعلاجها بما يتفق مع صالح المسلمين ضمن الاطار الاسلامى الصحيح .

٩ ــ احياء الرسالة التعليمية للمساجد الاسلامية العريقة كجامع الزيتونة والقرويين والازهر ، وضرورة استمرار وظيفة تلك المساجد

التعليمية بما يجدد ماضيها التاريخى الذى أدى دورا هاما فى الحيـاة الاسلامية •

١٠ ــ أهمية اعداد الأئمة ومساعديهم ، حيث يتوقف الجزء الاهم فى رسالة المسجد على كفاءتهما •

١١ ــ ضرورة العناية بالمسجد من ناحية بنائه وسائر متطلباته ومطابقة وظائفه ، وتخطيطه بما يخدم الهدف الاساسى من وجوده ، وتطهيره من كل ما يخالف شرع الله •

١٢ ــ استنفار المسلمين لاستنقاذ المقدسات الاسلامية ، وعلى الاخص المسجد الاقصى، والمسجد الابراهيمى ، والدعوة الى تحريرهما•

١٣ ــ يوصى المؤتمر بأن تكون للامام حصانة تكفل له استقلاله الفكرى ، ورأيه الحر فى تنـاول مشكلات المسلمين وقضاياهم فى اطار الشريعة الاسلامية •

« اعداد الأئمة والخطباء والدعاة »

يوصى المؤتمر بما يلى :

١ ــ أن يكون الامام والخطيب والداعى الى الله قوى الصلة بربه ، وقدوة لغيره ، آمرا بالمعروف ، ناهيا عن المنكر ، قادرا على الجهر بكلمة الحق •

٢ ــ أن يقصد بما يقدمه من أعمال وجه الله والدار الآخرة ، وأن يبتعد عن الرياء ، والمجاملة فى الحق ، وأن يكون زاهدا فى مدح الناس وثنائهم •

٣ ــ أن يكون دائم الصـلة بالاصلين الاساسيين ، والينبوعين الصافيين : كتاب الله ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم دراسة وتأملا واستنباطا عملا يستمد من نورهما ويقف عند حدودهما •

٤ ــ أن يكون دقيق الفهم واسع الاطلاع محيطا بالبيئة التى يعيش فيها احاطة تامة بأحوالها وظروفها والتيارات والتحديات التى تتعرض لها •

٥ ــ أن يدرس التاريخ الاسلامى والانسانى وأن يكون ملما بقسط كبير من علوم الكون والحياة •

٦ ــ أن يكون له ثروة طائلة من النصوص واللغة وأن يكون على علم ببعض اللغات غير العربية ليتمكن من الاطلاع على ما يكتبه الاصدقاء والاعداء عن الاسلام ، ومن افهام واقناع من يتكلم بغير العربية من المسلمين •

٧ ــ أن يكون على مستوى المسئولية والكفاية العلمية حتى يستطيع أن يعالج ما يعرض له بحجة قوية وأسلوب مقنع •

٨ ــ أن يكون ذا خلق كريم وسلوك مستقيم ليكون محبوبا لقومه ، فيؤمنوا عن صدق بما يقول ، ويستجيبوا لما يرشدهم اليه •

٩ ــ أن يكون حليما صبورا حريصا على افادة أهل حيه وتنوير بصائرهم •

١٠ ــ أن يزهد فيما عند الناس ، وأن يقنع بما أعطاه الله ، حتى يكون عزيزا بينهم ، أهلا لاحترامهم ومودتهم ، بعيدا عن التعرض لاهانتهم •

١١ ــ أن يكون حسن التلاوة لكتاب الله ، عالما بأحكام تجويده •

١٢ ــ أن يكون حسن المنظر ، ذا زى يتسم بالوقار •

« المسجد الاقصى »

يوصى المؤتمر بما يلى :

١ ــ العمل على تقوية روح الجهاد عند المسلمين ، وبذل الجهود فى سبيل تشكيل كتائب الجهاد الاسلامية لاستنقاذ المقدسات بالتعاون مع المجاهدين من أجل فلسطين •

٢ ــ العمل الجاد على تسخير جميع ما يملكه المسلمون من امكانات وغيرها فى سبيل استرداد مقدساتهم الاسلامية ، ورفض جميع المقررات التى تفرط بأى جزء من أجزاء الاراضى المغتصبة ، أو أى حق من حقوق شعبها •

٣ ــ تدريب الجيل الناشىء تدريبا عسكريا اسلاميا ، وجعل هذا التدريب جزءا أساسيا من مناهج التعليم فى مرحلة التعليم الاعدادى ، وما تليها من مراحل دراسية فى البلاد الاسلامية التى لا يكون التدريب العسكرى فيها الزاميا ، وتعميم فكرة حركة الاشبال التى تعمل على اعداد أشبال الامة اعدادا عسكريا ، وذلك لتخريج أفواج من المجاهدين المخلصين •

٤ ــ شرح القضية التى نكب بها المسلمون فى المسجد الاقصى وغيره من البقاع السليبة شرحا وافيا لابناء الامة الاسلامية وغيرهم ، ويمكن تحقيق هذا الهدف اذا تعاونت وسائل الاعلام مع منابر المساجد، ومناهج التعليم على تحقيقه •

٥ ــ العمل على وقوف المسلمين صفا واحدا فى وجه أى دولة يثبت أنها قد انتهكت حرمة مسجد من مساجد المسلمين ، ومقاومة هذه الدولة بكل ما يستطيع المسلمون فرضه عليها من عقوبات •

٦ ــ تشكيل لجنة دائمة تحمل اسم « لجنة المسجد الاقصى » يكون مقرها رابطة العالم الاسلامى ، وتكون مهمتها متابعة تنفيذ هذه التوصيات •

ب ــ المؤتمى العالمى للفقه الاسلامى :

وهو المؤتمر الذى قررت جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض عقده فى مدينة الرياض فى المدة من غرة شهر ذى القعدة الى العاشر منه عام ١٣٩٦ هـ وستمثل فى هذا المؤتمر بلدان العالم ، وسوف تتكفل الجامعة بنفقات جميع الاعضاء المدعوين ذهابا وايابا ، وأثناء انعقاد المؤتمر •

وانا لنرجو لهذا المؤتمر ما هو أهل له من النجاح ، وتحقيق أهدافه السامية فى خدمة الاسلام والمسلمين •

وهذه هى موضوعات المؤتمر •

١ ــ وجوب تطبيق الشريعة الاسلامية فى كل زمان ومكان •

٢ ــ الشبهات التى تثار حول تطبيق الشريعة الاسلامية فى العصر الحديث •

٣ ــ الاجتهاد فى الشريعة الاسلامية •

٤ ــ نظام القضاء فى الاسلام •

٥ ــ أثر تطبيق الحدود الشرعية فى تحقيق الامن والاستقرار للمجتمع •

٦ ــ أثر تطبيق النظام الاقتصادى الاسلامى فى المجتمع •

٧ ــ التربية الاسلامية وأثرها فى المجتمع •

٨ ــ الاعلام وأثره فى نشر القيم الاسلامية وحمايتها •

٩ ــ الغزو الفكرى والتيارات المعادية للاسلام •

١٠ ــ المصارف الاسلامية بين النظرية والتطبيق •

د ــ مؤتمر لتوجيه الدعوة ، واعداد الدعاة :

وقد صدرت الموافقة الملكية السامية على قيام الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة بتنظيم مؤتمر عام لتوجيــه الدعوة ، واعداد الدعاة ، والدعوة الى عقده •

ومن أهداف عقد هذا المؤتمر :

١ ــ التعريف بالدعوة الاسلامية ومنهاجها الاقوم فى توجيــه الحياة الانسانية فى كل جوانبها الى غايتها الفاضلة ، التى يسعد بهــا الانسان فى دنياه وأخراه ، وفى توجيه بناء حضارتها بناء متكاملا يلبى دائما مطالب الروح والجسم معا •

٢ ــ الاخذ بأفضل المناهج العلمية والاساليب العملية فى اعداد الدعاة وتمكينهم من أداء رسالتهم •

٣ ــ التطور العلمى لاساليب الدعوة على ضوء النتائج العملية فى حقل الدعوة •

٤ ــ دراسة المشكلات والصعوبات العامة التى تعترض مسار الدعوة والعمل على حلها بالوسائل الممكنة .

٥ ــ تعزيز سبل الاتصال والتعاون بين الهيئات والمؤسسات المعنية بالدعوة الاسلامية والتنسيق العام للجهود المبذولة فى هذا الميدان على الصعيد العالمى وتنظيم سبل التعاون الايجابى بين الدعاة .

وهذه هى موضوعات المؤتمر الرئيسية :

١ ــ مناهج الدعوة الاسلامية وأساليبها .

٢ ــ اعداد الدعاة ومسئولية الجامعة فى هذا المجال .

٣ ــ أساليب الدعوات المضادة ، وأهدافها ، وآثارها .

٤ ــ المذاهب والاتجاهات الالحادية والمعادية للاسلام ، والفرق المرتدة والزائفة فى هذا العصر وتحديد موقف الاسلام والمسلمين فيها .

٥ ــ أجهزة الاعلام والنشر ودورها فى توجيه المجتمعات ، وتأثيراتها الضارة للدعوة الاسلامية فى المجتمعات الاسلامية خاصة ، وفى غيرها عامة ، وما يجب أن يتخذ ازاءها .

٦ ــ مشكلات الدعوة والدعاة الى الاسلام فى العصر الحديث ، وكيف يمكن التغلب عليها .

د ــ المؤتمر الاقتصادى الاسلامى الاول بمكة المكرمة :

انعقد هذا المؤتمر منذ أربعة أشهر ، وقد دعت اليه جامعة الملك عبد العزيز بجدة ٢٥٠ من خيرة علماء وفقهاء المسلمين فى العالم ، وقدموا أكثر من ٢٠٠ بحث عن الاقتصاد الاسلامى ، والبديل لكل ما هو موجود فى عالمنا الاقتصادى من تأمينات ومعاملات مصرفية من وجهة النظر الاسلامية ، وكلها مستندة الى أدلة قرآنية وأحاديث نبوية شريفة .

ولا يسع جماعة أنصار السنة المحمدية ، ومجلة التوحيد الا أن تنوه بهذه الجهود المبذولة فى سبيل اظهار معالم الدين الاسلامى ، وابراز محاسنه ومزاياه ، والله نسأل أن يكلل هذه المؤتمرات بالتوفيق والنجاح .

باب الفتوى

أعد وأجاب عن أسئلة هذا العدد رئيس التحرير

ورد الينا من الاخوة والاخوات قراء المجلة أسئلة ، نذكرها ، ونجيب عنها فيما يأتى :

س ١ ــ من الاستاذ على الصحابى عبد الرحمن سكرتير جماعة أنصار السنة المحمدية بفاقوس ــ جاءنا سؤال ، خلاصته :

ــ أفتى خطيب الجمعة بحل لبس « الدبلة » المصنوعة من الذهب للرجال ، ذاكرا أن خلعها يفرق الاسرة . وأن التحريم لم يرد فى القرآن الكريم ، ومشككا فى صحة أحاديث التحريم ، بل شكك فى البخارى نفسه ، وصحيحه ، فهل هذا صحيح ؟

ج ١ ــ اذا كان الاسلام قد أباح الزينة ، بل طلبها ، واستنكر تحريمها « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة (١) » فانه حرم على الرجال نوعين من الزينة ــ على حين أحلهما للاناث :

أولهما : التحلى بالذهب .

ثانيهما : لبس الحرير الخالص (٢) .

فعن على رضى الله عنه قال : أخذ النبى صلى الله عليه وسلم حريرا ، فجعله فى يمينه ، وأخذ ذهبا فجعله فى شماله ، ثم قال : « ان هذين حرام على ذكور أمتى » (٣) .

وعن عمر رضى الله عنه قال : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم

---

(١) من آية ٣٢ من سورة الاعراف (٢) انما ذكرنا حكم لبس الحرير ايضا ، لأن السؤال استطرد اليه من جهة ، واتماما للفائدة من جهة أخرى . (٣) رواه أحمد وأبو داود والنسائى وابن حبان ، وابن ماجه . وزاد ابن ماجه : « حل لاناثهم »

يقول : « لا تلبسوا الحرير ، فان من لبسه فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة » (١) .

ورأى خاتما من ذهب فى يد رجل ، فنزعه وطرحه ، وقال : « يعمد أحدكم الى جمرة من نار فيجعلها فى يده » فقيل للرجل بعد ما ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم : خذ خاتمك انتفع به . قال : لا والله ، لا آخذه وقد طرحه رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) .

ومثل الخاتم ما نراه عند المترفين من قلم الذهب ، ساعة الذهب ، قداحة « ولاعة » الذهب ، علبة الذهب للسجاير ، والفم الذهب .الخ(٣).

وأما ما ذكره خطيب الجمعة من أن خلع دبلة الذهب يفرق الاسرة فمرد ذلك الى جهل رجالنا ونسائنا بأحكام الدين ، وتحكم العادات والاوهام الفاسدة فى سلوكهم ، فعلينا أن نفقههم فى الدين ، والغاية لا تبرر الوسيلة ، والرسول صلوات الله وسلامه عليه يقول :

« من أسخط الله فى رضا الناس سخط الله عليه ، وأسخط عليه من أرضاه فى سخطه ، ومن أرضى الله فى سخط الناس رضى الله عنه ، وأرضى عنه من أسخطه فى رضاه ، حتى يزينه ويزين قوله وعمله فى عينه » (٤) ويقول : « احفظ الله يحفظك » رواه الترمذى ، وقال : حديث حسن صحيح .

فمن سعى فى مرضاة الله وان غضب غيره ــ كان الله فى عونه ، وكفاه شر خلقه ، ومن سعى فى مرضاة الناس ــ وان أغضب الله عز وجل ــ حجب الله عنه عونه ، وتركه ونفسه .

---

(١) رواه البخارى ومسلم (٢) رواه مسلم

(٣) من كتاب « الحلال والحرام » للدكتور يوسف القرضاوى .

(٤) رواه الطبرانى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه باسناد جيدقوى

وعلامة الايمان الحق أن تفعل ما يرضى الرب ، وان أسخط الخلق، علامة الايمان الحق أن تكون أوامر الله أول ما تسمع ، ونواهيه فى مقدمة ما تدع وتترك « يأيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله واتقوا الله ان الله سميع عليم » •

ودرء المفاسد مقدم على جلب المصـــالح ، وليس هذا من باب « الضرورات تبيح المحظورات » فليس ثمة ضرورة •

ـــ وما ذكره الخطيب ـــ كذلك ـــ من أن التحريم لم يرد فى القرآن الكريم ، وتشكيكه فى صحيح البخارى ـــ يرد عليه ببيان منزلة السنة من القرآن الكريم ، وأنها منزلة البيان (١) ، كما قال سبحانه : « وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون (٢) » •

والله تعالى يقول : « من يطع الرسول فقد أطاع الله » (٣) ويقول: « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنـــه فانتهوا » (٤) ويقول : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » (٥) ويقـــول : « وان تطيعوه تهتدوا » (٦) ويقول : « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم » (٧) ويقول : « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم » (٨) •

---

(١) جاءت السنة فى الجملة موافقة للقرآن الكريم ، تفسر مبهمه ، وتفصل مجمله ، وتقيد مطلقه ، وتخصص عامه ، وتشرح أحكامه وأهدافه ، كما جاءت بأحكام لم ينص عليها القرآن الكريم ، تتمشى مع قواعده ، وتحقق أهدافه وغاياته ، ولعلنا نتمكن من كتابة مقال مستقل فى بيان منزلة السنة ومكانتها من القرآن الكريم ، مع ضرب الامثلة ان شاء الله . (٢) من آية ٤٤ من سورة النحل (٣) من آية ٨٠ من سورة النساء . (٥) من آية ٧ من سورة الحشر (٥) آية ٦٥ من سورة النساء . (٦) من آية ٥٤ من سورة النور (٧) من آية ٣١ من سورة آل عمران . (٨) من آية ٦٣ من سورة النور .

ولقد روى الحاكم والبيهقى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله وسنتى » .

وفى حديث صحيح يقول المقدام بن معد يكرب : « حرم النبى صلى الله عليه وسلم أشياء يوم خيبر ، منها الحمار الاهلى وغيره ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يوشك أن يقعد الرجل منكم على أريكته يحدث بحديثى ، فيقول : بينى وبينكم كتاب الله ، فما وجدنا فيه حلالا استحللناه ، وما وجدنا فيه حراما حرمناه . وان ما حرم رسول الله كما حرم الله » .

فمرجع الشريعة الاسلامية ، والتحليل والتحريم الى هذين الاصلين الشريفين : القرآن الكريم ، والسنة النبوية .

والسنة النبوية متى ثبتت عن المعصوم ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ فهى تشريع وهداية ، وواجبة الاتباع لا محالة .

ولا شك أن أصح كتابين فى الاسلام بعد القرآن الكريم هما صحيح البخارى ، وصحيح مسلم .

وقد اشتهر صحيح البخارى ، وصحيح مسلم ، وكتب السنن الأربعة (١) بالكتب الستة ، ولكل من أصحابها ميزة يعرف بها ، فمن أراد التفقه فعليه بصحيح البخارى ، ومن أراد قلة التعليقات فعليه بصحيح مسلم ، ومن رغب فى زيادة معلوماته فى فن التحديث فعليه بجامع الترمذى ، ومن قصد الى حصر أحاديث الاحكام فبغيته لدى أبى داود فى سننه ، ومن كان يعنيه حسن التبويب فى الفقه فابن ماجة يلبى رغبته ، فأما النسائى فقد توافرت له أكثر هذه المزايا (٢) .

---

(١) وهى : الترمذى ، وابو داود ، وابن ماجة ، والنسائى .

(٢) ص ١١٩ من كتاب : علوم الحديث ومصطلحه للدكتور صبحى الصالحى الطبعة الثالثة .

وقد اشتركت هذه الكتب الستة جميعها فى ظاهرة الاسناد التى اختصت بها هذه الامة ، فعلى الرغم من اختلاف مناهج الجامعين لهذه الكتب لم يسجلوا حديثا الا ومعه اسناده الذى تلقوه به مسلسلا متصل الحلقات الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد أسهمت هذه الظاهرة بنصيب كبير فى حفظ السنة النبوية ، وأعانت على التمييز بين الصحيح والحسن والضعيف .

وقد أبدى المنصفون من المستشرقين اعجابهم بالجهد الكبير الذى بذله المسلمون لحفظ الاحاديث النبوية وتمييز صحيحها من ضعيفها (والفضل ما شهدت به الاعداء) .

قال المستشرق جوينبول ، كاتب مادة الحديث فى دائرة المعارف الاسلامية : « لا يعد الحديث صحيحا فى نظر المسلمين الا اذا تتابعت سلسلة الاسناد من غير انقطاع ، وكانت تتألف من أفراد يوثق بروايتهم وتحقيق الاسناد جعل علماء المسلمين يقتلون الامر بحثا ، ولم يكتفوا بتحقيق أسماء الرجال وأحوالهم لمعرفة الوقت الذى عاشوا فيه وأحوال معاشهم ، ومكان وجودهم ، ومن منهم كان على معرفة شخصية بالآخر، بل فحصوا أيضا عن قيمة المحدث صدقا وكذبا ، وعن مقدار تحريه للدقة والامانة فى نقل المتون ليحكموا أى الرواة كان ثقة فى روايته » (١) .

ونوه الاستاذ (آدم ميتز) فى كتابه الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى بالدور العظيم الذى قام به علماء الحديث فى تدوين السنة النبوية وخدمتها ، فقال : « وقد اعتنى نقاد الحديث منذ أول الامر بمعرفة رجال الحديث وضبط أسمائهم والحكم عليهم بأنهم ثقات أو ضعاف ، ثم نظروا فى الاساس الذى يبنى عليه هذا الحكم ، أعنى الصفات التى يجب توافرها فى المحدث الثقة ، وهى ما يعرف بالجرح والتعديل .

---

(١) من ص ٢٣٥ المجلد السابع من دائرة المعارف الاسلامية ، الترجمة العربية .

وقد أدت بهم حاجتهم الى السند المتصل أن يتجاوزوا البحث فى حياة الرواة والحكم عليهم الى عمل تاريخ كامل لهم ، وهكذا وجدت تواريخ القرن الثالث الهجرى ، مثل : تاريخ البخارى ، وطبقات ابن سعد . . . الخ » (١) .

ألا فليتق الله هؤلاء المفتون بغير ما أنزل الله ، حتى لا يحملوا أثقالهم ، وأثقالا مع أثقالهم ، وحتى لا يسألوا يوم القيامة عما كانوا يفترون « قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا، قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون ؟ » .

ولا يشككوا عامة المسلمين فى الاصل الثانى من أصول التشريع ، وقد شهد بصحته وتوثيقه المستشرقون من غير المسلمين ، والفضل ما شهدت به الاعداء ، وليعلموا أن العالم يزل بزلته عالم ، وليربئوا بمكانتهم التى وضعهم الله فيها من الامامة والعلم ولا يضللوا الناس .

والله تعالى نسأل أن يرينا الحق حقا ويرزقنا اتباعه ، وأن يرينا الباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه ، وأن يوفقنا للصواب والسداد ، انه الاعلى والاعلم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم (٢) .

---

(١) ٤/٣١٩ من كتاب الحضارة الاسلامية لآدم ميتز ، الترجمة العربية لمحمد عبد الهادى أبو ريدة .

(٢) نكتفى فى هذا العدد بالاجابة عن هذا السؤال ، فقد ضاق المقام عن اجابة سائر الاسئلة ، وقد بدانا به لاهميته من حيث الموضوع ، ومن حيث المنهج فى التعليل والاستدلال للأحكام بعد أن عمت البلوى ، احقاقا للحق ، ودمغا للباطل ، وان شاء الله سنوالى ــ تباعا ــ الاجابة عن الاسئلة التى وردت ، والتى ترد الينا ، ومنها : أسئلة المواريث ، وتفضيل بعض العبادات على بعض ، وطيران الميت بالنعش ، وحكم الختان . . الخ ، وسيشترك فى الاجابة عن هذه الاسئلة علماء الجماعة ، والمجلة ، والله ــ تعالى ــ أعلم .